الترغيب والترهيب

تصنيف
الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
(٥٨١ - ٦٥٦ هـ)

حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه
العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

(كتاب النوافل)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

كتاب النوافل (٤)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نواصل شرحنا لكتاب [صحيح الترغيب والترهيب] الذي انتقاه خادم السنة الإمام الألباني -رحمه الله عزَّ وجلَّ- من كتاب [الترغيب والترهيب] للحافز الإمام المنذري -رحمه الله عزَّ وجلَّ وسائر علماء المسلمين-.

ولا زلنا مع الأحاديث المرغبة في أفعال وأقوال يندب للإنسان أن يفعلها فيما بين العشاء إلى طلوع الفجر.

وقد عرفنا أن أفضل ما يندب للإنسان أن يفعله في هذا الوقت أن يصلي الوتر، وما بين الفراغ من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر كله وقت لصلاة الوتر، فمن أوتر في أول الليل أو في وسط الليل أو في آخر الليل فقد فعل فعلًا فاضلًا، وحصَّل فضل الوتر؛ لكن إن كان الإنسان يعلم من حاله أنه ثقيل النوم، وإنه إن نام يغلبه النوم، فلا يستيقظ إلا وقد طلع الفجر، فإن الأفضل له أن يوتر قبل أن ينام، وإن كان يعلم من حاله أنه في الغالب يستيقظ في آخر اللَّيْلِ؛ فإن الأفضل له أن يجعل وتره في آخر الليل؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتر من أول الليل، وأوتر من وسط الليل، ثم استقر وتره إلى أن مات صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الليل، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن الوتر في آخر

الليل إنه أفضل؛ لأنها صلاة مشهودة محضورة، وعرفنا أنه يشرع لمن أراد النوم أن ينام على ذكر وطهارة.

والمقصود بالطهارة: أن يتوضأ المسلم قبل نومه إن كان محدثًا، وكذلك إن كان جنبًا يتأكد الندب في حقه أن يتوضأ قبل أن ينام، والكمال أن يغتسل قبل أن ينام.

هذا هو المقصود بالطهارة شرعًا إذا أطلقت؛ لكن قال العلماء يفهم من هذا أنه يندب للإنسان أن يبيت مع طهارة بدنه طاهر القلب، طاهر القلب من الشرك، ومن البدع، ومن حب البدع وأهلها، ومن الحسد، ومن الغل، ومن البغضاء لمسلم بغير سبب شرعي يقتضي البغضاء.

فإذا بات الإنسان طاهرًا ذاكرًا فإنه يفوز بمقامين كريمين، وأجرين عظيمين:

أما أحدهما: فهو أن يبيت في شعاره، أي: أن يبيت قريبًا منه حتى يكاد أن يلامسه ملك، فيكون في فراشه ملك، وكل ما تقلب بصوت دعا له الملك، وقال: اللّٰهم اغفر لعبدك فلان فإنه قد بات طاهرًا، وإذا استيقظ بصوت دعا له الملك اللّٰهم اغفر لعبدك فلان فإنه قد بات طاهرًا. هذا المقام الأول.

والمقام الثاني: أنه إذا بات طاهرًا ذاكرًا ثم استيقظ فدعا الله، فسأل الله خيرًا له في دينه أو دنياه إلا أعطاه الله إياه، فمن أسباب إجابة الدعاء أن يبيت الإنسان طاهرًا ذاكرًا، فإذا استيقظ دعا، وإذا دعا فإنه لا يسأل الله خيرًا من الآخرة أو الدنيا إلا أعطاه إياه، بكل هذا ثبت الحديث عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم.

ثم نواصل قراءة ما انتخبه الإمام الألباني مما أورده الإمام المنذري -رحمهما الله عزَّ وجلَّ-، فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الحافظ المنذري -رحمه الله تعالى-: تحت باب الترغيب في أن ينام الإنسان طاهرًا ناويًا للقيام:

وَعَن عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا أَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: «مَا من امرئ تكون لَهُ صَلَاة بلَيْل فيغلبه عَلَيْهَا نوم إِلَّا كتب الله لَهُ أجر صلَاته وَكَانَ نَومه عَلَيْهِ صَدَقَة».

رَوَاهُ مَالك وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَفِي إِسْنَاده رجل لم يسم وَسَماهُ النَّسَائِيّ فِي رِوَايَة لَهُ الْأسود بن يزِيد وَهُوَ ثِقَة ثَبت وَبَقِيَّة إِسْنَاده ثِقَات وَرَوَاهُ ابْن أبي الدُّنْيَا فِي كتاب التَّهَجُّد بِإِسْنَاد جيد رُوَاته مُحْتَج بهم فِي الصَّحِيح.

(الشرح)

قال: (**وَسَماهُ النَّسَائِيّ فِي رِوَايَة لَهُ الْأسود بن يزِيد**)، قلت: وكذا سماه الطبراني في الأوسط، فَعُلِمَ هذا الرجل.

قال: (**وَرَوَاهُ ابْن أبي الدُّنْيَا فِي كتاب التَّهَجُّد بِإِسْنَاد جيد رُوَاته مُحْتَج بهم فِي الصَّحِيح**)، قلت: ورواه أحمد وابن خزيمة عن أبي ذر.

رواه أحمد عن عائشة، ورواه ابن خزيمة عن أبي ذر -رضي الله عن الجميع-.

والشيخ الألباني -رحمه الله- ذكر هنا أن الحديث حسن لغيره، وفي صحيح أبي داود ذكر أنه صحيح.

(**مَا من امرئ**):

ما: نافية.

وامرئ: نكرة تقدمتها من، وقد قررنا وكررنا أن النكرة في مقام النفي إذا سبقتها من شدَّ عمومها، وكان ذلك أقوى في العموم والشمول.

(مَا من امرئ تكون لَهُ صَلَاة بلَيْل)، **تكون له صلاة بليل:**

يحتمل أن يكون المراد تكون له صلاة بليلٍ فعلًا، أي: أنه في العادة يصليها. ويحتمل أن يكون المراد أنه تكون له صلاة بليل عزمًا، أي: نواها ولو لم يكن مصليًا لها من قبل. والظاهر -والله أعلم- أن كلا الأمرين مراد؛ لكن الأول أوكد، فإن من كان يفعل الفعل ثم غُلب عليه أو منع منه بمانع فإنه يكتب له أجره حتى يزول المانع.

ومن هنا: يحث العلماء الشاب على أن يكثر من النوافل ودوامها؛ لأنه إذا كبر سنه، وعجز عن بعضها، يكتب له أجر ما كان يعمل قبل ذلك، ولو فرضنا أنه مرض أو شُلَّ في آخر حياته، فإنه يكتب له أجر كل ما كان يعمل قبل أن يصاب بذلك، ولو بقي على ذلك سنين. ولذلك من التفريط أن الإنسان لا يغتنم وقت القوة ووقت الشباب في الإكثار من النوافل التي يستطيع أن يداوم عليها، ويثبت عليها إلا أن يصيبه ضعف، فمن كان يصلي عادة في الليل ثم نام؛ لأنه في العادة يصلي في آخر الليل، ففي تلك الليلة غلبته عينه، نام لم يستيقظ إلا وقد طلع الفجر، فإن الله يكتب له أجر صلاته في العادة، إذا كان يصلي إحدى عشرة ركعة يكتب الله له أجر صلاة إحدى عشرة في تلك الليلة التي لم يصلِ فيها، إذا كان يصلي سبع ركعات، فإن الله يكتب له أجر سبع ركعات في تلك الليلة التي لم يصلِ فيها، وكان نوم الله عليه صدقة؛ لأنه نال الأجر، وحصلَّ النوم، فكان النوم صدقة.

فإن قضى ذلك من النهار ما بين ارتفاع الشمس قيد رمح إلى أذان الظهر فهذا زيادة في الأجر، هو نال الأجر، وكتب الله له الأجر، فإن قضاه؛ ولكن يقضيه شفعًا، إن كان يصلي إحدى عشرة ركعة، يصلي اثنتي عشرة ركعة، إن كان يصلي سبع ركعات، يصلي ثمان ركعتان، فهذا زيادة في الأجر فوق أجر قيام الليل الذي اعتاده.

وكذلك على الراجح، وهو الذي تسنده الأدلة: أن من أتى فراشه فنوى صادقًا جازمًا أن يقوم من آخر الليل؛ ليصلي ويوتر، فغلبته عينه، فإن الله يكتب له أجر ما نواه، فإن فضل الله واسع.

والراجح من أقوال أهل العلم: أن من نوى الخير صادقًا جازمًا، ولو لم يكن فاعلًا له من قبل، فَغُلِبَ عليه أو منعه منه مانع، فإن الله يكتب له ما نواه، هذا الراجح، والذي تسنده الأدلة، وقد مرَّ معنا من الأدلة حديث: «إِنَّما الدنيا لِأربعةِ نفر، وبينا وجه دلالته هناك.

إذًا من الخير للعبد أن يجعل له وردًا من صلاة الليل، وكلما زاد كان خيرًا له حتى يبلغ الكمال وهو إحدى عشرة ركعة، حتى إذا غلب على ذلك يكتب له أجر ذلك، ومن الخير للعبد إذا جاء إلى فراشه أن يعقد نية صالحة، فينوي جازمًا أن يقوم من الليل.

(المتن)

وَعَن أبي الدَّرْدَاء رَضِي الله عَنهُ يبلغ بِهِ النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: «من أَتَىٰ فرَاشه وَهُوَ يَنْوِي أَن يقوم يُصَلِّي من اللَّيْل فغلبته عينه حَتَّىٰ أصبح كتب لَهُ مَا نوىٰ وَكَانَ نَومه صَدَقَة عَلَيْهِ من ربه».

رَوَاهُ النَّسَائِيّ ابْن مَاجَه بِإِسْنَاد جيد وَابْن خُزَيْمَة فِي صَحِيحه وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضا وَابْن خُزَيْمَة عَن أبي الدَّرْدَاء وَأبي ذَر مَوْقُوفا.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ وَهُوَ الْمَحْفُوظ وَقَالَ ابْن خُزَيْمَة هَذَا خبر لَا أعلم أحدا أسْندهُ غير حُسَيْن بن عَليّ عَن زَائِدَة وَقد اخْتلف الروَاة فِي إِسْنَاد هَذَا الْخَبَر.

(الشرح)

قال -رحمه الله-: (وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ أَيْضا وَابْن خُزَيْمَة عَن أبي الدَّرْدَاء وَأبي ذَر مَوْقُوفا. قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ وَهُوَ الْمَحْفُوظ)، قلت: ورواه الحاكم مرفوعًا، وقال صحيح على شرط الشيخين، ثم رواه موقوفًا على أبي الدرداء.

ثم قال: هذا مما لا يوهن، أي: مما لا يضعف المرفوع، هذا مما لا يوهن، فإن الحسين بن علي الجعفي، أي: راوي المرفوع، أقدم وأحفظ وأعرف بحديث زائدة من غيره.

قلت: أن التحقيق عند العلماء أن الحديث إذا روي مرفوعًا بإسناد ثابت لا يضعفه ذلك؛ لأن الراوي قد ينشط فيرفعه، وقد يقصر عن ذلك فيوقفه، ثم إن هذا الحديث بعينه لو فرضنا أنَّ الصحيح أنه موقوف فقط، فإن له حكم الرفع؛ لأن هذا مما لا يقال بالرأي، هذا الحكم لا يقال بالرأي، فلا يدخله

الاجتهاد، فله حكم الرفع، فالحديث على كل حال صحيح مرفوعًا، ولو سلمنا أن المرفوع فيه وما فيه والموقوف صحيح، فإن الموقوف له حكم الرفع إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هنا: (من أَتَىٰ فرَاشه وَهُوَ يَنْوِي أَن يقوم يُصَلِّي من اللَّيْل):

لاحظوا هنا: أن الحديث عُلِقَ بالنية، لم يعلق هنا بالصلاة، وإنما علق بالنية (وَهُوَ يَنْوِي أَن يقوم يُصَلِّي من اللَّيْل)، فهذا يشمل ما لو كانت له صلاة معتادة، أو لم تكن له صلاة معتادة.

(فغلبته عينه حَتَّىٰ أصبح)، أي: حتى طلع الصبح.

وهذا دليل على ما قررناه أن الراجح أن صلاة الليل تنتهي بطلوع الصبح، ولا صلاة من الليل بعد طلوع الصبح، كما قررناه في المجلس الماضي.

(كتب لَهُ مَا نوىٰ)، إذًا كتب له ما نوى، فالنية عظيمة، وشأنها عظيم.

ولذلك من الأخيار ما يجعل الخير مدرارًا عليه بنيته، فيجعل نيته حسنة حتى في العادات، حتى في العادات ينفق علة أولاده وهو يبتغي ما عند الله، ينفق على امرأته وهو يبتغي ما عند الله، يأكل وهو يرجو ما عند الله من قوة على الطاعة، ينام وهو يرجو ما عند الله، ويبتغي وجه الله -سبحانه وتعالى- فيؤجر على كل هذا.

كذلك ينوي الخير دائمًا صادقًا، فإن تمكن من فعله أُجِر، وهذا بأفضل المنازل، وإن لم يتمكن من فعله أُجِرَ -أيضًا- كأنه قد فعل، وإن كان الفاعل أفضل منه (وَكَانَ نَومه صَدَقَة عَلَيْهِ من ربه).

(المتن)

وَعَن أبي ذَر أَو أبي الدَّرْدَاء شكّ شُعْبَة رَضِي الله عَنهُ قَالَ رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم: «مَا من عبد يحدث نَفسه بِقِيَام سَاعَة من اللَّيْل فينام عَنْهَا إِلَّا كَانَ نَومه صَدَقَة تصدق الله بهَا عَلَيْهِ وَكتب لَهُ أجر مَا نوىٰ».

رَوَاهُ ابْن حبَان فِي صَحِيحه مَرْفُوعا وَرَوَاهُ ابْن خُزَيْمَة فِي صَحِيحه مَوْقُوفا لم يرفعهُ.

(الشرح)

(رَوَاهُ ابْن حبَان فِي صَحِيحه مَرْفُوعا)، بهذا اللفظ الذي سمعناه.

(وَرَوَاهُ ابْن خُزَيْمَة فِي صَحِيحه مَوْقُوفا)، ولفظه: «ما مِن رجلٍ تكونُ له ساعةٌ مِنَ اللَّيلِ يَقومُها، فيَنامُ عَنها، إلَّا كَتبَ اللهُ له أَجْرَ صَلاتِه، وَكان نَومُه عليهِ صَدَقةً تُصُدِّق بِها عَليه».

هذا لفظ ابن خزيمة، وقد واه موقفًا.

وأما لفظ ابن حبان وقد رواه مرفوعًا، وهو صحيح: (مَا من عبد)، نكرة في غاية العموم (يحدث نَفسه)، هذه النية (بِقِيَام سَاعَة من اللَّيْل)، أي: بعد نومه (فينام عَنْهَا)، تغلبه عينه إلى أن يخرج الوقت، إلى أن يطلع الصبح (إِلَّا كَانَ نَومه صَدَقَة تصدق الله بهَا عَلَيْهِ وَكُتِبَ لَهُ أجر مَا نوىٰ)، أو (وكَتَبَ لَهُ أجر مَا نوىٰ)، وفي هذا ما في الحديثين المتقدمين.

(المتن)

قال -رحمه الله-: باب التَّرْغِيب فِي كَلِمَات يقولهن حِين يأوي إِلَىٰ فرَاشه وَمَا جَاءَ فِيمَن نَام وَلم يذكر الله تَعَالَىٰ.

قال -رحمه الله-: عَن الْبَراء بن عَازِب رَضِي الله عَنهُ قَالَ قَالَ النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم: «إِذا أتيت مضجعك فَتَوَضَّأ وضوءك للصَّلَاة ثمَّ اضْطجع علىٰ شقك الْأَيْمن ثمَّ قل اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت نَفسِي إِلَيْك ووجهت وَجْهي إِلَيْك وفوضت أَمْرِي إِلَيْك وألجأت ظَهْري إِلَيْك رَغْبَة وَرَهْبَة إِلَيْك لَا منجا وَلَا ملْجأ مِنْك إِلَّا إِلَيْك، آمَنت بكتابك الَّذِي أنزلت وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت فَإِن مت من ليلتك فَأَنت علىٰ الْفطْرَة واجعلهن آخر مَا تَتَكَلَّم بِهِ قَالَ فرددتها علىٰ النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم فَلَمَّا بلغت آمَنت بكتابك الَّذِي أنزلت قلت وَرَسُولك قَالَ لَا وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت».

رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلم وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه.

وَفِي رِوَايَة للْبُخَارِيّ وَالتِّرْمِذِيّ: «فَإِنَّك إِن مت من ليلتك مت علىٰ الْفطْرَة وَإِن أَصبَحت أصبت خيرا أَوَىٰ غير مَمْدُود».

(الشرح)

قال: (رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلم وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ)، قلت: في الكبرى، رواه النسائي في الكبرى وعمل اليوم والليلة (وَابْن مَاجَه).

(وَفِي رِوَايَة لِلْبُخَارِيّ)، قلت: ومسلم، في رواية للبخاري ومسلم (فَإِنَّك إِن مت من ليلتك مت علىٰ الْفطْرَة وَإِن أَصبَحت أصبت خيرًا)، هذا عند مسلم والترمذي، وعند البخاري: «أصبت أَجْرًا»، وعند مسلم والترمذي كما ذكر المصنف (أصبت خيرًا).

(عَن الْبَراء بن عَازِب رَضِي الله عَنهُ قَالَ قَالَ النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم: إِذا أتيت مضجعك)، أي: المكان الذي تضع جنبك عليه، يقال: ضجع الرجع يضجع ضجعًا، إذا وضع جنبه على الأرض.

والمقصود: إذا أردت أن تأتي فراشك، ليس المقصود إذا أتيت الفراش فعلًا وجلست عليه، لا، المقصود إذا أردت أن تأتي فراشك.

ما الدليل؟

قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَتَوَضَّأ وضوءك للصَّلَاة)، فإنك لن تتوضأ وأنت على فراشك، وإنما تتوضأ إذا أردت أن تأتي إلى الفراش.

وقد تقدم أنه يندب لمن يريد النوم أن ينام على طهارة، وأن يتوضأ، وهذا الأمر هنا للندب.

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وضوءك للصَّلَاة)، أي: كوضوءك للصلاة.

وذُكر هذا: لدفع احتمال أن يكون المراد بقوله: (فَتَوَضَّأ)، النظافة، فقوله: (فَتَوَضَّأ)، يحتمل أن يراد به الوضوء اللغوي وهو النظافة، ويحتمل أن يراد به الوضوء الشرعي وهو الوضوء المعلوم، فلما قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَتَوَضَّأ وضوءك للصَّلَاة)، علمنا أنه إنما يراد به الوضوء الشرعي، توضأ كما تتوضأ للصلاة.

وهذا -أيضًا- يدل على أن من أتى فراشه طاهرًا ليس محدثًا، صلى العشاء -مثلًا- وصلى سنة العشاء، ثم أتى فراشه وهو على وضوء، ما يحتاج أن يتوضأ؛ لأن الإنسان لو أتى للصلاة وهو على طهارة، ما يحتاج أن يتوضأ؛ لكن إذا كان على حدث أحدث، فإنه يتوضأ؛ لنام طاهرًا.

(ثمَّ اضْطجع علىٰ شقك الْأَيْمن)، أي: على جانبك الأيمن.

من السنة أنَّ الإنسان إذا أراد أن ينام يتوسد يده اليمنى، ويضجع على جانبه الأيمن.

قال العلماء: وهو أنشط للاستيقاظ، وأرفق بالبدن، وأصلح لأعضاء الإنسان.

هذا جاء هن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله ومن فعله، فهو سنة، ولا شك أن السنة هي الأفضل والأنفع للإنسان.

وقد قال العلماء: هذا أنشط للاستيقاظ، الذي ينام متوسدًا يمينه على جانبه الأيمن يكون نومه أخف من الذي ينام على ظهره أو ينام على جنبه الأيسر، وهو أرفق بالبدن، وأصلح للبدن، وقد قرر هذا الأطباء أن هذا أصلح للأعضاء الداخلية للإنسان أن ينام الإنسان على الجانب الأيمن.

(ثمَّ قل اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت نَفسِي إِلَيْك):

اللّٰهم هذه وردت في رواية عند مسلم، وليست عند البخاري، ليس اللّٰهم إني؛ عند البخاري: «اللَّهُمَّ أسلَمتُ نَفسِي إِلَيْك»، وفي رواية عند مسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت نَفسِي إِلَيْك).

جاء في رواية عند البخاري، وعند أبي داوود: «اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت وَجْهِي إِلَيْك».

أكثر الروايات (اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت نَفسِي إِلَيْك).

وفي رواية عند البخاري، وكذا عند أبي داوود: «اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت وَجْهِي إِلَيْك».

ومعنى (اللَّهُمَّ إِنِّي أسلمت نَفسِي إِلَيْك): أني استسلمت لك وانقدت لك، وخضعت لك.

وقد قال بعض العلماء: النفس والوجه هنا بمعنى واحد، أي: الذات والجوارح؛ أسلمت نفسي وجوارحي لك، فأنا يا رب مستسلم لك، منقاد لك بكل جوارحي، خاضع لك.

طبعًا الذين قالوا إن النفس والوجه بمعنى واحد نظروا إلى ما ذكرته هنا: أن بعض الروايات فيها أسلمت نفسي ـ إليك، وفي رواية عند البخاري مكان هذا أسلمت وجهي إليك، فقالوا: النفس والوجه بمعنى واحد.

وقال بعض العلماء: النفس هنا الذات والجوارح، والوجه هنا القصد والنية، وذلك للجمع بينهما في بعض الرِّوَايَاتِ، فمعنى (أسلمت نَفسِي إِلَيْك): انقياد الجوارح وخضوعها، ومعنى «أسلمت وَجْهِي إِلَيْك»، انقياد القلب وإخلاصه.

(وَوجَهْتُ وَجْهِي إِلَيْك): في أكثر روايات البخاري بدونها، بدون هذه الجملة، لكن في بقية الروايات الصحيحة موجودة، فتذكر.

(وَوجَهْتُ وَجْهِي إِلَيْك)، أي: أخلصت لك وقصدتك يا رب مخلصًا لك.

(وفَوَّضت أَمْرِي إِلَيْك)، أي: توكلت في جميع أموري عليك.

(وألجأت ظَهْرِي إِلَيْك)، أي: اعتمدت، واستندت في جميع أموري إليك، فلا حول لي ولا قوة إلا بك.

وهذه الجملة كما قال العلماء: تتضمن طلب الإعانة؛ يا رب اعتمدت عليك في أموري كلها واستندت إليك في أموري كلها؛ فأعني على ذلك، فهذه الجملة تتضمن طلب العون من الله - سبحانه وتعالى- (رغْبَة وَرَهْبَة إِلَيْك)، أي: رغبة فيما عندك من الثواب والعفو.

رغبة فيما عندك من الثواب على الحسنات، والعفو عن السيئات، فأنا يا رب حسن الظن بك، راغب إليك، راغب فيما عندك من عظيم الثواب على الحسنات، والعفو عن السيئات، ورهبة من غضبك وعقابك.

فأنا أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك؛ رغبة إليك، كل هذا رغبة إليك، رهبة منك؛ لكن لما جُعلت مع الرغبة جاء: (رغْبَة وَرَهْبَة إِلَيْك).

العلماء يقولون: الرهبة تلازمها من، رهبة منك، وليس رهبة إليك، لكن لما جُمعت مع الرغبة جاز أن يقال إليك بالإتباع، (رغْبَة وَرَهْبَة إِلَيْك).

(لا منجا وَلَا ملْجأ مِنْك إِلَّا إِلَيْك)، لا ملجأ ألجأ إليه وأستعيذ به، ولا منجا مما أخاف إلا إليك، لا ملجأ ولا منجا؛ هذا الأصل، ملجأ مهموزة، ومنجا غير مهموزة، لكن لما اجتمعا جاز همزهما، فيجوز أن تقول: لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك.

وجاز عدم همزهما، فتقول: لا ملجا ولا منجا منك إلا إليك.

وجاز همز المهموز، وعدم همزة غير المهموز: لا منجأ ولا ملجا.

كل هذا جائز، ويجوز أن تأتي به بواحد من هذه الاحتمالات.

(آمَنت بكتابك الَّذِي أنزلت):

بكتابك يحتمل أنه للجنس، فيشمل كل كتاب أنزله الله على رسول، يحتمل أنه للجنس، للعموم، فيشمل كل كتاب أنزله الله على رسول -عليهم السلام-، ويحتمل أنه المعهود، والمعهود عندنا هو القرآن، فيكون المراد القرآن.

(وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت فَإِن مت):

"مت" يصح الضم والكسر: فإن مُت أو فإن مِت، كلاهما صحيح.

(فَإِن مت من ليلتك فَأَنت علىٰ الْفطْرَة):

الفطرة هي التوحيد والإسلام، فإن مت فقد مت على التوحيد والإسلام، ويتضمن هذا -انتبهوا لهذا-: أن الإنسان إذا قال ذلك قبل نومه، ومات في نومه يكون كأنه قال في آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله.

لأن قوله (فَإِن مت من ليلتك فَأَنت علىٰ الْفطْرَة)، أي: مت على لا إله إلا الله، مت على التوحيد، وهذه فائدة عظيمة؛ لأن النوم قد يفجع الإنسان وهو في النوم، فإذا كان قد نام على هذا الذكر يدخل في أنه كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله، فيبشر بالجنة.

(واجعلهن آخر مَا تَتَكَلَّم بِهِ): ما يتكلم الإنسان بعدها؛ ينام.

(قَالَ فرَدَدْتُهَا -أو ردَّدتُها- علىٰ النَّبِي صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم)، أي: استذكرها ليحفظها، قالها على مسمع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: (فَلَمَّا بلغت آمَنت بكتابك الَّذِي أنزلت قلت وَرَسُولك): الذي أرسلت، (قَالَ: لَا وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت)، **وهذه الجملة**: (قَالَ لَا وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت): **فيها فوائد**:

منها: أن الأذكار توقيفية، فيلزم أن يؤتى بها كما وردت، وأن لا يبدل فيها لفظ بلفظ.

مبنية على التوقيف.

ومنها -أعني من فوائد هذه الجملة-: أن الرسول غير النبي، وأن بينهما فرقًا؛ إذ لو كان الرسول مرادفًا للنبي لدل هذا على المقصود، تطابقا لكن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرض بقوله ورسولك الذي أرسلت؛ بل قال: ونبيك الذي أرسلت.

وقد فرَّق العلماء بين النبي والرسول:

فقال بعض العلماء: النبي من جاءه الخبر من السماء، ولم يؤمر بالتبليغ؛ لأنه من النبأ، والنبأ هو الخبر.

أي: جاءه جبريل -عليه السلام- بالنبأ؛ لكنه لم يؤمر بتبليغ هذا النبأ.

والرسول: من جاءه الخبر من السماء، وأُمر بالتبليغ.

وعلى هذا عند العلماء: محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الأمر كان نبيًا، ثم صار رسولًا، ولذلك يقولون: نبئ باقرأ، وأرسل بالمدثر، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر:١] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:٢].

وقال بعض العلماء: النبي من أرسل إلى قوم موحدين.

والرسول: من أرسل إلى قوم مشركين.

ولذلك يقولون: أول الأنبياء آدم -عليه السلام-؛ لأن آدم أرسل، لكن أرسل لذريته، وقد كانوا على الفطرة والتوحيد، أرسل لذريته الذين معه، وقد كانوا على الفطرة والتوحيد، وبقوا بعد موته على الفطرة والتوحيد، فهو نبي.

وأول الرسل قالوا: نوح -عليه السلام-؛ لأنه أرسل إلى قوم مشركين.

وبناء عليه: فإن الرسول في أول أمره عند أول الوحي إليه يكون رسولًا فقط، فإذا آمن به بعض قومه صار رسولًا نبيًا، **كيف؟** في أول ما يوحى إليه هو مرسل إلى قوم مشركين، فهو رسول.

آمن معه خمسة؟

صار مرسلًا إلى المشركين الذين لم يؤمنوا، وإلى هؤلاء الخمسة الذين آمنوا، فبالنسبة للمشركين هو رسول، وبالنسبة لهؤلاء المؤمنين هو نبي؛ ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا القول بدأ رسولًا، ثم صار رسولًا نبيًا، فيقال له: يا أيها النبي، ويقال له: يا أيها الرسول.

وقال بعض العلماء: إن النبي من أوحي إليه بشرع نبي قبله.

والرسول: من أوحي إليه بشرع جديد.

طبعًا دين الأنبياء واحد، ولكنهم يختلفون في الشرع، فهؤلاء يقولون: النبي يوحى إليه بشرع نبي قبله، والرسول يوحى إليه بشرع جديد.

والأقوى من هذه الأقوال -في نظري-: هو القول إن النبي الذي أرسل إلى قوم موحدين، والرسول الذي أرسل إلى قوم مشركين.

وهذا -أيضًا- نأخذه من هذه الفائدة معنا هنا: (وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت)؛ إذًا النبي مرسل، وليس كما قال الأولون: إنه أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه؛ لأنه أرسل، إذا أرسل معناه: أنه أمر بالتبليغ، وهو نبي، (وَنَبِيك الَّذِي أرْسلت)، والأمر قد اجتهد فيه العلماء، وهذا الذي يظهر لي -والله أعلم- أنه أقوى.

قال: (وَفِي رِوَايَة للْبُخَارِيّ وَالتِّرْمِذِيّ فَإِنَّك إِن مت من ليلتك مت علىٰ الْفطْرَة): وقد عرفنا هذا؛ مت على التوحيد والإسلام.

(وَإِن أَصبَحت أصبت خيرًا أَوَىٰ غير مَمْدُود): أي أصبحت حيًا، وردَّ الله عليك روحك.

(أصبت خيرًا)، **قال العلماء معنى** (أصبت خيرًا): أصبت ثوابًا عظيمًا، وأجرًا كريمًا، وبركة في الدنيا، وصلاحًا في الدنيا.

إذًا قول هذا الذكر فيه فائدتان:

إن مات الإنسان مات على التوحيد.

وإن أصبح استفاد فائدتين -**هذه الفائدة الثانية**-:

الفائدة الأولى: الأجر العظيم، والثواب الكريم.

والفائدة الثانية: أنه يبارك له في يومه، وتصلح له أعمال يومه، يكون موفقًا في ذلك اليوم.

من أسباب التوفيق في اليوم، والبركة في اليوم أن يقول الإنسان هذا الذكر قبل أن ينام، ويجعل ذلك آخر كلمات يقولهن.

فهذا -في الحقيقة- فضل عظيم، ومن أسف أنه يَقِل العاملون به، ويجهل فضله كثيرون من الناس، فينبغي أن نحفظه، وأن نقوله كلما أتينا فراشنا ليلًا.

لكن انتبهوا! هذا يكون في نوم الليل وليس في نوم النهار؛ **لأمرين:**

الأمر الأول: ما معنا هنا، (وَإِن أَصبَحت)، والصباح إنما يكون من نوم الليل.

والأمر الثاني: أنه جاء في بعض الروايات التي ذكرها الحافظ بن حجر في الفتح بعد العِشَـاءُ، فهذا إنما هو في نوم الليل.

هذا ما يتعلق بهذا الحديث، ولعلنا نقف عنده، ونكمل -إن شاء الله- في الدروس القادمة.

غدًا -إن شاء الله- عندنا محاضرة في نفس هذا الوقت عن منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم- وضرورة العمل به، وآثار العمل به، وما يخالف منهج السـلف من الحزبيات الظاهرة، والحزبيات الخفية، وما أحوجنا إلى هذا، ينبغي أن نتذكر وأن نقرر، وأن نكرر لاسـيما في هذا الزمن الذي صار أناس يشوهون منهج السلف فيه، وينسبون إليه ما ليس فيه، وصار أناس ينسبون أنفسهم إلى منهج السـلف، وهم ليسـوا على طريق السـلف، وصـار أناس يقعون في الحزبيات الخفية، وهم يظنون أنهم على منهج السـلف، ويحرمون أنفسـهم من الفوائد والخيرات؛ لأنهم على حزبية خفية.

سنتكلم عن هذا -إن شاء الله- في محاضرة الغد -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- بعد صلاة العصر.

((فقرة الأسئلة))

جزاكم الله خيرًا، وبارك فيكم، ونفعنا الله بما سمعنا.

السؤال: أحسن الله إليكم. **هذا يقول: ما حكم النوم على البطن؟**

الجواب: منهي عنه، لكن النائم مرفوع عنه القلم، فلو أن الإنسـان نام على جنبه، فانقلب على بطنه وهو نائم فلا شيء عليه، لكنه لا يبدأ النوم على بطنه.

السؤال: أحسن الله إليكم. **هذا يقول: هل كل أدعية النوم تقال في النهار أم مخصوصة بعضها يقال وبعضها لا يقال؟**

الجواب: إذا ورد ما يدل على تقييدها بنوم الليل فإنها إنما تكون مشـروعة في نوم الليل، ومنها هذا الذي ذكرناه، ومنها لفظ البيتوتة ونحو ذلك، أما إذا عُلِّق الحكم بالنوم مطلقًا؛ فإنها تُقَال حيث وُجد النوم.

السؤال: أحسن الله إليكم، **هذا يقول: بعض الناس عندما يدخل المسجد النبوي يرفع يده تجاه قبر النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ويسلم عليه، فما حكم هذا الفعل؟**

الجواب: إذا دخل الإنسان المسجد فإنه يسن له أن يقول: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وهذا ليس خاصًا بمسجد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل هو سنة في كل مسجد، ولا يشرع للإنسان أن يلتفت إلى القبر إذا دخل، ما يشرع أنك إذا دخلت المسجد تلتفت إلى القبر تعبدًا، بل تدخل المسجد كما تدخل سائر المساجد.

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدخل مسجده وما كان فيه قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وعندما مات دُفن في بيته خارج مسجده، وكان الصحابة يدخلون المسجد، ويقولون: الصلاة والسلام على رسول الله، لكن ما يتوجهون إلى ناحية بيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحتى عندما أُدخل في المسجد في عهد عبد الملك بن مروان فإن من كان من الصحابة ومن بعدهم من السلف ما كان إذا دخل المسجد يلتفت إلى القبر قصدًا، فمن البدع أنك إذا دخلت مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التفت إلى جهة القب قصدًا أو توجهت إلى جهة القبر، وقلت: السلام عليك يا رسول الله، هذه بدعة، أو رفعت يدك بالتحية هذه بدعة وجهل.

بعض الناس إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، يرفع يده؛ هذه بدعة، أنت إذا سلَّمت على رسول الله من أي مكان بعيدًا عن المواجهة فإن هناك ملكًا يحمل سلامك إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعض الناس إذا دخل المسجد وقف خاضعًا وتوجه إلى القبر، وصار يتمتم، وربما رفع يديه، هذا بدعة، ولا خير في البدع؛ كل بدعة ضلالة.

ادخل مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما شرع الله، وما سنه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإياك والمحدثات، إيَّاك والبدع، إذا جئت وصليت ركعتين، وكنت قادمًا أو بعيد عهد، وأردت أن تذهب إلى المواجهة، وتسلم على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحسن، وشيء طيب، لكنك تسلم عَلَيْهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، وإن أثنيت عليه ببعض الخير فلا بأس بشرط أن لا تضر الناس في الزحام.

أما أن تدعوه، وتقول: يا رسـول الله ما عندي أولاد؛ شرك أكبر، أن تطلب الوظيفة، أن تطلب لرزق شرك أكبر يخرجك من كونك من أتباع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إياك أن تحمل رسالة من جارتك إلى رسول الله، يا رسول الله زوجي يضربني ويظلمني المدد، المدد؛ شرك أكبر، أن تحمل السلام لفظًا أو كتابة، بعض الناس يكتب السلام عليك يا رسول الله ويعطيها من يأتي إلى المدينة، أو يقولون: الوصية السلام، وإذا جاء هذا يظن هذا خيرًا، ويبدأ عند القبر: السلام عليك يا رسول الله، جارتي فلانة وفلانة، وفلانة، وفلانة يسلمون عليك، وجاري فلان، وفلان يسلمون عليك، بدعة.

الله جعل لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملكًا يبلغه السلام قبل أن يصل هذا الذي أرسلته، إذا سلمت على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصل سلامك، ما أحوجك الله إلى أحد من البشر- يوصل سلامك إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالخير كله أن نلزم السنة، وأن نحذر البدع والمحدثات.

السؤال: أحسن الله إليكم. **هذا يقول: من توضأ واضجع على فراشه فانتقض وضوؤه قبل أن ينام هل يعيد الوضوء؟**

الجواب: نعم، السنة أن يبيت طاهرًا، أن يبيت أي: أن ينام طاهرًا، طبعًا بعض السلف ذكروا أن من حكم ذلك: أنه يبعث طاهرًا، إذا نام طاهرًا يبعث طاهرًا، ونومه هذا وإن كان شرعًا ينقض الوضوء، لكنه إن قبض وهو فيه يموت طاهرًا، ويبعث طاهرًا، لعل في هذا كفاية، أسأل الله أن يتقبل من الجميع.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.